طبقةُ الخاصَّة في المغربِ الأقصى في العصْر المريني المسميات والمعايير ٦٦٨- ٨٦٩هـ/ ١٢٦٩- ١٤٦٥م

أ/ عمرو محمد أبو الفتوح محمد، أ.د.حسين سيد عبد الله مراد، أ.د. كرم الصاوي باز

مُلَخّص:

تتناول هذه الدراسة التعرف على مسميات طبقةِ الخاصَّة في المصادر المرينية والتي وصفتهم بمختلف عبارات المدح كالوجهاء والأعيان والأكابر، كما يتناول تحديد المعايير التي على أساسها يتمُّ تحديدُ الفئات الاجتماعية التي تنتمي لطبقة الخاصَّة في العصر المريني، وهذه المعايير هي نفسها أساسُ التفاوت الطبقي داخل المجتمع المريني، وذلك لأنَّ مَن ينطبق عليه هذه المعايير يندرج ضمنَ طبقة الخاصَّة، ومَن لا يندرج ضمنها يتم تصنيفه وفقًا لوضعه ضمن طبقتي الوسطى والعامة. ولقد ضمت هذه المعيار معيار الثروة والوظيفة والنسب والعلم والقوة ونوع الحياة .

كلمات مفتاحية:

طبقة الخاصة – بني مرين– طبقات المجتمع– الهرم الاجتماعي– الوظائف العليا– مكانة إجتماعية– جاه العلم– خاصة الدولة – مصاف الخاصة– الحراك الاجتماعي .

Summary:

This study deals with identifying the nomenclature of the special class in the Marinid sources, which described them with various phrases of praise, such as notables, notables and dignitaries. This is because those who meet these criteria fall within the private class, and those who do not fall within them are classified according to their status within the middle and public classes. This criterion included the criterion of revolution, occupation, lineage, knowledge, strength and type of life.

Keywords:

The special class - Bani Marin - the strata of society - the social hierarchy - the higher positions - social status - the status of science - the state's private - the ranks of the special - social mobility.

مُقدمة:

تُعد طبقة الخاصة أكثر فئاتِ المجتمع تأثيرًا في مختلف نواحي الحياة، فقد لعبَت طبقة الخاصَّةُ دورًا فعّالًا في الدولة المرينية، وقد جاءت تسميةُ الموضوع بطبقة الخاصَّة؛ لأنَّ الخاصَّة في الدَّولة المرينية هي طبقةٌ قائمة بذاتها، كذلك كانَ لطبقةِ الخاصَّة حياتُهم الاقتصادية, والوضعُ المالي المُختلف والمُستقل، وتمتَّعوا ببعضِ مظاهر الحياة الاجتماعية الخاصَّة بهم دونَ غيرهم.

وممّا لا شكَّ فيه أنَّ طبقة الخاصَّة مهمَّةٌ في أيّ دراسة تطمح إلى الإلمامِ بالعناصر الفاعلة في حركة التاريخ، فَمَنْ يُطالِعُ طبقةَ الخاصَّة يجدُها تحتلُّ قمة الهرم الاجتماعي على أساسِ أنَّهم السلطة والمقرَّبون منها، أو مَن يدورون في فلكِها من عِلْية المجتمع.

أوَّلًا: تعريفُ طبقة الخاصَّة لغة واصطلاحاً:

الطبقة لُغة: واحدةُ الطّباق، وهو ما تراكب بعضُه على بعض. والطبقة: الجنسُ من الناس[١]. والطبقة مفرد, والجمعُ طبقات وطباق وطبق. وهي: فئةٌ من الناس ذات منزلة معينة، مجموعة من الناس يمارسون وظائفَ متشابهة, ولهم مصالحُ وأوضاع متَّحدة في المجتمع "خلق الله الناس على طبقاتٍ شتّى, ولقد صار من الطبقة المثقفة/ العاملة؛ الطبقةُ الحاكمة: التي بيدها الحكم.[٢]

وفي الإصْطلاح: كثرت التعريفاتُ لها لدى علماء الاجتماع الجُدد, مثل ماركس الذي يعرف الطبقةَ بأنّها " أيُّ تجمُّع لأشخاص يؤدون نفسَ الوظيفة في عملية تنظيم الإنتاج، وتختلف الطبقات عن بعضها البعض على أساس أوضعها الاقتصادية"[٣].

والخاصَّةُ لغة: خلافُ العامة، الطبقةُ الاجتماعية العليا، وجهاءُ القوم وأكابرُهم، وأشرافهم، الخاصُّ المتفرِّد، المتميِّز والمتفوِّق على غيره. وخاصَّة الرَّجُل: المقرَّبون إليه "أحسنَ إلى أصدقائه وخاصَّته". خاصَّة المَلِك: المقرَّبون إليه من رجال دولته[٤].

وفي الإصْطلاح: هي الطبقةُ الحاكمة التي بيدِها مقاليدُ الأمور في البلاد، والذين يقرِّبهم السلاطين بقُربهم إليهم, ويجعلونهم من خواصِّهم، ويقرِّبونهم, ويبقون في مجالسهم, وهم: العلماء والوزراء والكتّاب والقضاة والحجّاب[٥].

وتعرَّف الخاصةُ باللغة الإنجليزية Elite؛ أي النخبة والصفوة. وجاء في قاموس أوكسفورد أنَّ النخبة Elite: " أقوى مجموعة من الناس في المجتمع, ولها مكانتها المتميزة وذاتُ الاعتبارات". فالنُّخبة تشير إذًا إلى أنها الفئةُ الاجتماعية التي يُعتقَد أنها الأفضل والأهمُّ بين غيرها بفضل امتلاكها السلطة أو الثروة أو مهارات عقلية مثل: النخبة الحاكمة أو النخبة المثقفة [٦].

كما عرَّفها علماءُ الاجتماع الجُدد بأنها الأقلية (Minority) داخل أيِّ تجمع اجتماعي تمارس نفوذًا متفوقًا، فالصفوةُ التي تمارس نفوذًا متفوقًا داخل المجتمع تسمّى الصفوة الحاكمة Ruling Elite أو كما يسمّيها بعضُ العلماء الصفوة السياسية political Elite [٧]. وكذلك يشير معجمُ مصطلحات العلوم الاجتماعية إلى أنَّ الخاصة أو النخبة أقلية ذاتُ نفوذ تسود جماعةً أكبر حجمًا، وأنَّ الانتساب إليها يتمُّ اكتسابه بالوراثة في بعض المجتمعات، حيث إنَّ الأفراد المنحدرين من أسلاف تنتسب إلى بعض الطوائف أو بعض أصحاب الامتيازات، يتمتعون بنفسِ المركز بمقتضى حقِّ الميلاد[٨]. على أيَّة حال فإنَّ الخاصة والصفوةَ والنخبة مصطلحاتٌ تشير في معناها العام إلى جماعة من الأفراد يشغلونَ مراكز النفوذ والسيطرة في مجتمع معيَّن، ولهم تأثيرٌ بالغ على مجريات الحياة وتوجيهها، وعلى صنع القرارات المهمَّة في مختلف مجالات الحياة، وتمثل أكثرَ الطبقات هيبة وأثرًا[٩].

أمّا طبقة العامة, فهي خلافُ الخاصَّة, وتضمُّ فئاتٍ اجتماعية كثيرة ومتفاوتة فيما بينها, والمصطلح يدلُّ على صيغة الجمع؛ أي أنّ العامة هي جمهورٌ من الناس، ولذا نجد عندَ ابن منظور "العم" من العامة؛ أي الجماعة بمعني عددهم كثير[١٠]، وقد اهتمت الدراساتُ الحديثة بوضع تعريف لطبقةِ العامة، فمنهم مَن عرَّفها على أنهم "كلّ مَن لا ينتمون إلى قصر الخليفة ولا يستخدمون فيه، ولا يتمتَّعون بمزايا وامتيازات الطبقة الحاكمة ورجال الإدارة[١١]. وعرَّفهم آخرُ بأنهم " السواد الأعظم من الناس الذين لم يتمتعوا بأيِّ سلطة أكانوا من العاملين من ذوي الدَّخل المنخفض أو العاطلين، ولم يحظو بمكانةٍ اجتماعية تذكر داخل المجتمع" [١٢].

ولا يخفَى أنَّ العامة أداة يستعملها الخاصَّة في قضاء مآربهم، ويتَّسمون بصفات عديدة, منها: الكثرة والجهل, والحاجة إلى الخاصَّة لتبصيرهم وترشيد أفعالهم وحمايتهم من بعضهم، وهُم مع ذلك يرجِّحون كفة مَن ينضمون إليه [١٣].

ثانياً: طبقاتُ المجتمع في العصر المريني:

أنَّ أولَ تساؤل يتبادر إلى ذهن كلّ مَن يتصدر لدراسة الوضع الطبقي خلالَ الحقبة مدار الدراسة؛ هو: هل كان المجتمعُ المريني مجتمعًا طبقيًّا؟

أكدتِ المصادر أنَّ المجتمع المريني مجتمع طبقي, وأنه على درجة من التفاوت بين طبقاته، وليس أدلُّ على صحة ما يذهب إليه الباحثُ مِن أن سياقَ كلام المصادر يفيد بوجودِ هذا التفاوت الطبقي، ويتَّضح ذلك عندَ بيعة السلطان أبي الحسن المريني "واجتمع الناسُ إليه على طبقاتهم لأداء البيعة بفسطاطه" [١٤] علاوةً على وصف ابن مرزوق (ت٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) للاحتفال بالمولد النبوي في عهد السلطان أبي الحسن (ت: ٧٣١-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٩م) "فيستدعي حينئذٍ الناسَ على

ترتيبهم، ويأمر بأخذ المجالس على طبقاتهم... فإذا فرغَ الترتيب وأخذ الناسُ مجالسهم، دعا بالطعام"[١٥]. وعند ذكر ابن الخطيب (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) جواز السلطان أبي الحسن إلى الأندلس, قال: "واجتمعَ به في وجوه الأندلس وأعيان طبقاتهم"[١٦] وحديث ابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) عن تعيين مسعود بن رحّو وزيرًا "واستوزرَ له مسعود بن رحّو بن ماسي من طبقات الوزراء من بني مرين"[١٧].

ثمَّ يتبادر إلى الذهن سؤالٌ آخر: ما طبقاتُ المجتمع؟ وهل هناك مسمَّيات خاصة بكلِّ طبقة؟ في البداية يحسُن أن نوضِّح أنَّ مصادر الفترة المرينية والدراسات الحديثة قسمت فئاتِ المجتمع بشكل عامٍ إلى: خاصَّة وعامَّة[١٨]، ونهدفُ في هذا المقام تحديدَ عددٍ من المسميات المستعملة في المصادر للتعرُّف على طبقات المجتمع, وفي مقدمتها طبقةُ الخاصَّة التي كان لها أدوار أساسية في الحياة العامة، وقد اكتسبت هذه الفئة صيغًا اجتماعية مميَّزة في المصادر التي عاش أصحابُها في ظلِّ الحكم المريني، وأطلقت عليها مختلفُ عبارات المدح، فمِن المسمَّيات التي نعت بها الخاصَّة نجد "ا لوجوه " جمع وجيه, وهو ما يدلُّ عليه النص التالي: " نَزعتُ- ابن خلدون- إلى السلطان أبي سالم في طائفة من وجوه أهل الدولة"[١٩]. والمعنى نفسُه يفيده مصطلح "أعيان"[٢٠] أي الذين لهم مكانةٌ وحظوة داخل المجتمع, وهذا ما تُفيده الدلائلُ التالية: "قدمَ على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) وفدٌ من أعيان فاس وفقهائها"[٢١], "وانطلق ابنُ مرزوق عائدًا إلى المغرب معَ جماعة من الأعيان، والعمّال والسفراء عن الملوك" [٢٢].

والمعنى نفسُه الذي تؤديه تسميةُ الوجهاء والأعيان تفيدُه تسمية "الأكابر", وهو ما نجده في النُّصوص التالية: " فقدمَ عليه ورعَى له وسائله، ونظمه في أكابر أهل مجلسه"[٢٣], "ومن أكابر كتّابه"[٢٤] وكذلك تسميةُ "كبير", ومنها " واختصَّه منديل الكتاني كبير الدولة وزعيم الخاصة"[٢٥]، وتتضمَّن تسمية طبقة الخاصَّة أيضًا عددًا من التَّسميات التي تنعت بها فئاتُ هذه الطبقة, فنجد تسمية "الرئيس", والذي هو أصلًا من أعيان البلد, وأكابرها, ووجهائها, وينحدرُ من إحدى الأسر الكبرى، ومِن ذلك ما وصف به عبد الله بن محمد العزفي بأنَّه "الرئيسُ الأكبر, الشهير الفقيه, صاحب الأوامر الرياسية والإمارة بسبتة"[٢٦]، ومنها وصفُ عبد المهيمن الحضرمي (ت: عام٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) بأنه "عظيم الرؤساء ذاتًا وسلفًا"[٢٧].

وتندرج ضمنَ طبقة الخاصة- أيضًا- فئةٌ أخرى تعتَبر من أعيان البلاد، وهي فئة "ذوي البيوتات", و"ذوي الأحساب"[٢٨]؛ أي الأسرُ الكبرى الثرية والشريفة التي تحتلُّ منزلة خاصَّة في المدينة, وكان منهم الكتّاب والقضاة وأصحابُ نفوذٍ لهم مكانتهم الخاصَّة في حياة المجتمع, إضافةً إلى العلاقة التي تربطهم بالسلاطين مثل بني المليلي[٢٩] فهُم بيتُ علمٍ وفقه وكتابة

وثروة وحَسَب[٣٠]. وتتضمن مسمَّيات الخاصَّة أيضًا مسمَّى أهل الحل والعقد[٣١]، وعظماء القبيلة[٣٢] وأهل الشورى[٣٣] وحاشية السلطان[٣٤].

بقي أن نشير أنَّ المصادر أضفتْ على الخاصة دورَ الموجّه والمسيّر والمرشد حيث تصف أثرَ إجراءاتها الحسنة على العامة أن "يُعظمونهم غايةَ الإعظام, ويعاملونهم بالبر والإكرام".[٣٥] ، وتصف الأثرَ الإيجابي على حُسن تسييرهم وضبطهم لشئون البلاد أن "صلح أمر العباد" [٣٦] وأن الناس "في خيرٍ وثروة"[٣٧]، وتحدِّثنا المصادر عن أثرِ قرارتهم السيئة أن "هتكت فيها من حرمة أموال وأعراض وأبشار"[٣٨]، وبذلك يتضح أنَّ الخاصة دائمةُ التأثير في حياة العامة، وأنها بحسبِ نظرة هذه المصادر هي المنظِّم والمسيِّر والمقرِّر للأحداث بالإيجاب أو السلب؛ لأنها صاحبةُ السلطة, وتمتلك الأداةَ التنفيذية.

أمّا بالنسبة لطبقة العامَّة في كتب العصر المريني, فإنَّ التسميات التي استطاع الباحثُ أن يتحصَّل عليها هي في مُجملها نعوتٌ تدلُّ على معاني قدحية مثل: الدهماء[٣٩] الغوغاء[٤٠] أوغاد[٤١].

وقد شاع استعمالُ لفظ رعية[٤٢] وإشارات قليلة استعملتْ لفظ الشعب[٤٣]. وتكوَّنت هذه الطبقة من الحرفيّين والصنّاع والمستخدمين وأصحابِ الدخل المحدود والفئاتِ الدنيا من البنية الاجتماعية[٤٤]. وتتضمَّن التسميات التي ينعتُ بها أفرادُ طبقة الخاصَّة, وتلك التي ينعتُ بها أفرادُ طبقة العامة؛ أنَّ كلّ طبقةٍ منهما تمثل مجموعةً عكس الأخرى, وهي نقيضها [٤٥].

وهناك طبقةٌ تقع بين الطبقتين, وهي الطبقة الوسطي[٤٦], والتي عرَّفها ابنُ الخطيب على أنها صنفٌ من الناس لا يتشوَّف إلى المزيد, ولا يحذر من النقصان[٤٧], ووصفَهم ابنُ باجة بأنهم فريقٌ من الناس يطمسون حقيقتهم بارتداء ملابسَ فاخرة لإخفاء ملابسهم القديمة, ويتصنَّعون لكي يتقربوا من الخاصَّة[٤٨]. أمّا المصادر فلا تعطينا أيةَ تسميات لأصحابِ الطبقة الوسطى؛ لأنها تُدرِج كلَّ ما دون طبقة الخاصة ضمنَ تسمية العامَّة[٤٩]، وحدَّد الباحثون الفئاتِ التي تضمُّها هذه الطبقة في كبار التجار[٥٠], وأصحاب المهن الحرَّة كالأطباء والمؤدبين, ورؤساء الحرف الذين كوَّنوا ثرواتٍ وأصبحوا مالكين لرؤوس الأموال, وأصحاب الوظائف المتوسطة. زيادةً على إنهم كانوا يتولَّون المناصب الإدارية[٥١].

وهناك تسمياتٌ لها معنًى عام, وهي تسمية تطلَق على جميع الرعية؛ ومنها "الناس". إنَّ كلمة الناس تعني في جميع المواضع التي جاءت فيها جميعَ الرعية, أو جميع طبقات المجتمع. فعند حديث ابنِ خلدون عن بيعة السلطان يوسف بن يعقوب (٦٨٥-٧٠٦هـ/١٢٨٦- ١٣٠٦م) قال: "فأخذت له البيعة على الناس"[٥٢]، وعندَ نهوض السلطان عبد العزيز المريني (٧٦٧-٧٧٤هـ/ ١٣٦٥-١٣٧٢م) لغزو تلمسان "توافَى الناس إليه على طبقاتهم"[٥٣]. ثمَّ نجد تسمية "الملأ" تُستعمل

لجميع الطبقات مثلَ ما أورده ابنُ مرزوق عندَ ذكره وفاة الفقيه محمد بن عبد النور (٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) "وشهد مولانا- أبو الحسن- جنازته، والملأ من الخاصَّة والعامَّة"(٥٤)، وقد تؤدي معنى الخاصة في بعض المواضع؛ فعندما تحدَّث ابن خلدون عن إعطاء السلطان يعقوب الأمانَ لأهل مراكش عندَ فتحها قال: "وخرج الملأ وأهلُ الشورى من الحضرة إلى السلطان فأمَّنهم ووصلهم"(٥٥)، وعند دخول السلطان أبي سعيد (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠- ١٣٣١م) مدينة سبتة عقبَ ثورة أهلها على بني العزفي "أسنى جوائز الملأ من مشيختها ووفَّر إقطاعاتهم وجرايتهم"(٥٦). ولا شكَّ أن هذيْن النصيْن يؤكدان أنَّ الملأ فئة ذاتُ نفوذ كبير, لها قاعدةٌ مساندة من أهل المدينة, بإمكانها القيامُ بأعمال معينة, وإقرار قراراتٍ خاصَّة تمسُّ المجتمع.

ثالثاً: معاييرُ تحديدِ طبقة الخاصَّة:

من المعلوم أنَّ هناك بعضَ المعايير التي على أساسها يتمُّ تحديدُ الفئات الاجتماعية التي تنتمي لطبقة الخاصَّة، وهذه المعايير هي نفسها أساسُ التفاوت الطبقي داخل المجتمع المريني، وذلك لأنَّ مَن ينطبق عليه هذه المعايير يندرج ضمنَ طبقة الخاصَّة، ومَن لا يندرج ضمنها يتم تصنيفه وفقًا لوضعه ضمن طبقتي الوسطى والعامة. ويمكنُ تصنيف هذه المعايير إلى ما يلي:

أ- معيارُ الثروة:

الثروة أولُ عنصرٍ يقفز إلى العقل عندما نوردُ الحديث عن الطَّبقات، فحديثُ الأفراد يدور حولَ الطبقات الغنية والفقيرة، أو الطبقات المتوسطة(٥٧)، فحيازةُ الثروة هي حجرُ الزاوية في صياغة الهرم الاجتماعي(٥٨), فالثروة هي مقياسُ الرجال, وتؤدّي إلى الاقتراب من السلطة والجاه(٥٩), ويتمثل ذلك في الانتماء لأسَرٍ عريقة تعرَف باستحواذها على المال والثروة، وتظلُّ هذه الأسرُ- وأعقابهم- تتوارث جاهَ المال والثروة لفتراتٍ متلاحقة كذلك حيازة الأراضي الزراعية لبعض الشخصيات العليا في صورة الإقطاعات فرفعوا إلى قمَّة الهرم الاجتماعي بفضل ما درَّتْه عليهم أملاكُهم من أرباح وثرواتٍ هائلة، فالأساسُ الاقتصادي مفتاحٌ لفهم التشكيلة الاجتماعية على أساس طبقي(٦٠)، ولكنه لا يكفي في حدِّ ذاته لتحديد الطبقة.

ب- معيارُ الوظيفة (المهنة):

ممّا لا مراء فيه أن تولّي الوظائف والمناصب العليا في الدولة يؤهل أصحابَها ليحوذوا مكانة اجتماعية مرموقة، وأنْ يكونوا على قمَّة الهرم التنظيمي للدولة، مشاركين للحكام بالرأي والمشورة. وهذه المناصب سمحت لهم بمكانة مؤثرة داخل المجتمع ومن هؤلاء الخصيان الأعلاج من مجرد موالي للسلاطين إلى تبوء مناصب عليا في الدولة (٦١)، وكذلك نجد الكاتب عبد الله بن أبي مدين الذي عمل كاتبَ علفِ السلطان يعقوب قد وصل إلى أن يكون أحدَ أشهر الكتّاب وحجاب الدولة المرينية

ومدبّرها عهد السلطان يعقوب وولده السلطان يوسف, والسلطان عامر والسلطان أبي ربيع[٦٢]. وعلى ضوء هذه الحقائق يتبيَّن أن الوظيفة غيرتْ من وضعهم الطبقي, ووضعتهم في مصافِّ الخاصة. علاوة على أن هناك مهنًا تقتصر ممارستُها على عائلات معيَّنة من حيث تولّي الوظائف العليا في الدولة [٦٣]، ليكونوا في قمَّة الهرم الاجتماعي, وفي صدارة الفئات المرموقة في المجتمع كأسرة الفودودي[٦٤] وأبي مدين[٦٥] بني المليلي[٦٦]. وغيرُ خافٍ أن هذه الوظائف في بعض الأحيان لم تكنْ تحصنهم ضدَّ بطش السلاطين. وهذا ما سنعرض لبعضٍ منه في مواضع أخرى.

ج- معيارُ النَّسب:

ارتفعت قبيلةُ بني مرين بنسبها باعتبارها مؤسسةَ الدولة, ومنها البيتُ الحاكم, فكان العرق الذي ينسَب إليهم هو العرقَ صاحبَ الامتيازات؛ لذلك كانت القرابة والنَّسب إليهم بمثابة ممرَّ الوصول لطبقة الخاصة، ومثالُ ذلك ما تمتَّع به أشياخ بني مرين[٦٧] وبطون زناتة؛ من نفوذٍ قوي, ومكانة مرموقة, ومناصبَ عليا داخل الدولة المرينية[٦٨].

وهناك أسرٌ وبيوتات عريقة اندرجت تحتَ مظلَّة الخاصة؛ لأنهم عرفوا بعَراقة النسب الذي أهَّلهم لهذه المكانة المرموقة، ومِن هذه البيوتات: بنو المليلي, الذين ظلَّ أبناؤه يحتفظون بأصالة النَّسب الذي أهَّلهم لمكانةٍ وجيهة داخل المجتمع المريني[٦٩]. وهناك أيضًا رؤساء القبائل البربرية والعربية الذين ينتسبونَ إلى قبائل عُرفت بالجاه والنَّسب العريق الذين تمتعوا باحترام الدولة, فصار بعضُهم من خواصِّ السلاطين, ومن أهل الحلِّ والعقد في الدولة المرينية[٧٠]، وصارَ آخرون في الجند المُقاتلة للمشاركة في الحرب لمَا لهم من سلطةٍ على أفراد قبائلهم[٧١]. ويُضاف إلى ذلك مَن يرحلون من مُدنهم الأصلية، فيظلُّ يلازمهم أنَّ بيتهم بيتُ عراقة ونسبٍ, وخيرُ مثال: محمد بن يحيى العزفي (ت: عام ٧٦٨هـ /١٣٦٧م) من رؤساء سبتة، انتقلَ إلى فاس فاستعمل في الخطط الفقهية, وكتب لملوكها[٧٢]. وممَّن تمتع بالنَّسب الوجيه من أهل الأندلس: إسماعيل ابن الأمير يوسف ابن السلطان محمد بن الأحمر, (ت: عام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م), وكان في جند بني مرين, ومن خواصِّهم[٧٣].

ويجب التنويهُ أنَّ معيار شرف النَّسب- أي الانتساب إلى البيت النبوي الشريف- حظي على مكانةٍ مهمَّة في مجتمع المغرب الأقصى, ويدلُّ على ذلك أنَّ السلطان أبا الحسن أجرى مرتباتٍ لكلِّ مَن ثبت شرفُ نسبه[٧٤], وأجرى على شرفاء المغرب الأقصى مرتباتٍ شهرية, معَ كسوة في سابع المولود[٧٥], ويروَى أنَّه فكَّ أسْر أسرة شريفة بسبعة آلاف دينار من الذهب[٧٦] ، وثار أهلُ فاس على السّلطان عبد الحق بن أبي سعيد (٨٢٣-٨٦٩هـ/١٤٢٠-١٤٦٥م) بسبب تعدِّي اليهود على امرأة شريفة, اجتمعوا عندَ الفقيه عبد العزيز الورياكي(ت: عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م) الذي خلعَ السلطان،

وبايع الشريف أبا عبد الله محمد الإدريسي الجوطي, ثمَّ بايعه الخاصَّة والعامة[٧٧]. وعلى العموم, ظلَّ شرفُ النسب معيارًا للتصنيف الطبقي.

وتجدرُ الإشارة أنَّ ابن خلدون[٧٨] ربط أصالةَ النسب والشرف بمعيارٍ آخر وهو المعيار الأخلاقي، " فمَن استحكمت فيه صبغةُ الرذيلة بأيّ وجه كان، وفسدَ خلقُ الخير فيه؛ لم ينفعه زكاءُ نسبه ولا طيبُ مَنْبته". وعلى هذا الأساس الأخلاقي، تمكَّن البعض من احتلال مكانةٍ اجتماعية حسنة[٧٩]، فيوسف النجاري المالقي (ت: عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م) كاتبُ السلطان أبي الحسن المريني, وابنه أبي عنان (٧٤٩- ٧٥٩هـ/ ١٣٤٨- ١٣٥٨م)؛ وصفَ بأنه " نسيج وحده فهمًا وعلمًا وانطباعًا معَ الدين والصدق، له خلالٌ حميدة"[٨٠].

وثمَّة معيارٌ آخر يتمثل في النَّسب, وهو المصاهرةُ من البيت الحاكم، فكانت بمثابة ممرٍّ الوصول إلى طبقة الخاصَّة، ومثال ذلك زواجُ السلطان يعقوب من بنتِ أمير عرب الخلط؛ الأمير أبي عطية مهلهل بن يحيى[٨١] فصارَ من خواصِّ الدولة, وجليسَ السلطان أبي الحسن, وسفيرَه لسلطان مصر[٨٢].

د- معيارُ جاه العلم:

كان تحصيلُ العلم والنبوغ فيه من أهمِّ العوامل التي تحقِّق لأصحابها مكانة اجتماعية رفيعة، تتيح لهم الانخراطَ في طبقة الخاصَّة، وذلك راجعٌ للعناية التي أوْلاها سلاطينُ بني مرين للعلماء، ومعرفة قدرهم ورعاية أحوالهم، ولذلك أصبح العديدُ من العلماء موضعَ اهتمام السلاطين، بل ويسعى إليهم السلاطين، ويرغبونَ في القرب منهم، ويدعونهم لحضورِ مجالسهم، فقد كان السلطان يعقوب مقرَّبًا للعلماء صادرًا في أكثر أموره عنْ رأيهم[٨٣]، كما يعدُّ السلطان أبو الحسن من أبرِّ السلاطين بالعلماء وأعرفِهم بقدرهم، استخلصَهم لنفسه، وجمعهم من سائر بلاده, إذا سمعَ بمَن له رسوخ قدمٍ في علمٍ أقدمه على حضرته، وجعله من خواصِّ مجلسه وأجرَى عليه العطايا[٨٤]، ويُشير ابنُ مرزوق إلى قوَّة جاه العلماء في عهد السلطان أبي الحسن, فيقول: "اختصَّ أهل العلم لمجالسته ومحاضرته ومشاورته ومشاركته، فيما يتقلَّده من الأمور الشرعية, وجعلهم بطانته"[٨٥]؛ ويرجع ذلك الأمرُ لوضعهم العلمي ولالتفاف الناس حولهم، ولتأثيرهم على العامَّة[٨٦].

وقد أهَّل جاهُ العلم العلماءَ لتولي المناصب العليا في الدولة، فقد اجتذبَ السلطان أبو عنان العلّامة أبا عبد الله المقري (ت: عام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م), وخلَّصه لنفسه, وولّاهُ قضاءَ الجماعة واستعملَه في الرسالة[٨٧]، واستدعى ابنَ خلدون بعد أن جرَى ذكرُه أمامه, وعيَّنه عضوًا في مجلسه العلمي، وعيَّنه في العام التالي ضمنَ كتّابه وموقّعيه[٨٨].

وكان جاهُ العلم وحده كفيلًا أن يضع صاحبَه في مصافِّ الخاصة، حتّى ولو لم يكن هناك عصبية أو قبيلة تحميه، أو مال يوسِرُه، ويظهر ذلك واضحًا مع الغرباء من العلماء, ومِن هؤلاء عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري المالقي (ت: عام ٧٨٣هـ/ ١٣٨٢م)، فقد قدمَ للمغرب فاستعملَ في الكتابة للسلطان أبي الحسن بعد " أن بانَ فضلُه ونبَهَ قدرُه"[٨٩] وبعد أن صار الأمرُ لأبي عنان جنحَ إليه " فحصلَ على الحظوة, وائتمن على خطة العلّامة"[٩٠]، كما اختصَّ السلطان أبو عنان الفقيه أبا القاسم البرجي (ت: عام ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م) الأندلسي لنفسه، واستعمله في الكاتبة والسفارة، وفي عهد أبي سالم (٧٦٠-٧٦٢هـ/ ١٣٥٩- ١٣٦١م) استعمل في قضاء العسكر[٩١].

ومِن القرائن المؤكدة على مكانةِ جاه العلم التنافسُ بين الأمير أبي علي[٩٢] وأبي الحسن علَى الأديب عبد المهيمن الحضرمي، ممّا جعل السلطان أبا سعيد يقرِّر أن يعتزلهما معًا, واتَّخذه رئيس الكتّاب، واستمرَّ عبد المهيمن في الكتابة إلى أن توفي بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م[٩٣].

وقد ساعد النبوغُ في العلم أصحابَه لنيْل دنيا عريضة بعدَ الفقر والحاجة, فنجد عبد الله بن أبي مدين العثماني في بداية حياتِه عملَ كاتبَ علفِ الخيل للسلطان يعقوب المريني, ثمَّ أنهضه علمُه وعزمُه إلى أن وصل إلى منصبِ كاتبِ العلامة وحاجب الدولة, ومدبّرها في عهد يعقوب وابنه يوسف, ودولة عامر (ت: ٧٠٦-٧٠٨هـ/١٣٠٦-١٣٠٨م), وأخيه أبي ربيع (ت: ٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م) [٩٤].

كيفما كان الأمرُ فقد تصدر العلماءُ الهرمَ الاجتماعي, ونالوا دنيا عريضة، وحَظوا باحترام السّلاطين وتقديرهم بسبب مكانتهم العلمية التي جعلتهم محلَّ تقدير طبقات المجتمع كافة، وسمحَ لهم جاهُ العلم بالانتماء لطبقة الخاصة، حتى ولو عادوا بأصولهم الاجتماعية لطبقةٍ أخرى، ويجب التنويه أنَّنا نخصُّ من العلماء مَن علَا ذكرُه وذاع في العلم صيتُه، هُم فقط مَن انتموا لهذه الطبقة لأنّ هناك مَن حصّلوا العلم إلّا أنَّهم ظلّوا خاملي الذكر، فلم يتعدّوا طبقتهم الأصلية [٩٥].

و- معيارُ القوة:

يُعد معيارُ القوة من المكوّنات الرئيسية لبعض الفئات التي التحقتْ بطبقة الخاصة في عصر بني مرين، فيذكر أنَّ السلطان يعقوب عندما قدمَ عليه الأميرُ أبو زيان بن عبد القوي – كبير بني توجين– من زناته في جيشٍ كثيف من قومِه لمساندة السلطان في حصار تلمسان، أكرم السلطان وفادتَه وحشد الناسَ للقائه وأهداه وقومَه هدايا كثيرة[٩٦]، وصاهرَ السلطان يعقوب أميرَ عرب الخلط أبي عطية مهلهل الخلطي لمَا عُرف عن عرب الخلط من القوة والجاهزية القتالية[٩٧], وصاروا من خواصِّ الدولة[٩٨] والمؤثّرين في بيعة السلاطين[٩٩] واستعملوا في الوظائف العليا[١٠٠].

وتجدرُ الإشارةُ أنَّ ابن خلدون أعطى معيارَ القوة والعصبية أهميةً؛ لذلك وصف الوزير عمر بن عبد الله بأنه "خلوٌّ من العصبية"[١٠١] وجعل معيار القوة والعصبية من أهمِّ العوامل للحصول على المُلك والجاه[١٠٢]. ولا غروَ أن كثرةَ العدد في المجتمع القبلي كانت عنوانًا للتفوّق والجاه، خاصًّا عند الخاصة[١٠٣].

ز- معيارُ نوع الحياة (حياة التَّرف):

نوعُ الحياة عامل يتصل بالمظهر والثقافة، بقدْر ما يتصل بالطريقة التي تمارَس بها المهنة، وبالوسائل التي يستخدمها الفردُ للاستمتاع بثروته. فلكلِّ طبقة سلوكُها الخاص وطريقتُها في الغذاء وتفضيل بعض أنواع الطعام، وطريقتُها في اللَّهو وقضاء أوقات الفراغ ووسائل التسلية، وكذلك عادتها وفكرها وثقافتها، وكذلك طريقتها في الحديث[١٠٤].

فقد تمتَّعت طبقة الخاصة بحياةٍ متميزة حيث اتسمَت دورُها وقصورها بالفخامة, وتأنَّقت في مأكلها وملبسها واحتفالاتها، وتفنَّنت في وسائل التسلية، هذه الطبيعة الاجتماعية ميَّزتها عن باقي طبقات المجتمع, وأهَّلتها أن تكون في مصافِّ الطبقة العليا، في حين كانت العامة مكتفية بما لديها من وسائل معيشية، وهذا ما سيتمُّ إيضاحُه في هذه الدراسة.

وقد تبدو هذه المعايير وكأنَّ كلّ معيار فيها كافٍ لإقامة طبقة, أو أنه مستقلٌّ عن الآخر استقلالًا نسبيًّا، ولكن من الممكن وجودُ بعضها متداخلًا مع البعض الآخر، فالثروة والمهنة (الوظيفة) يحدِّدان نوع الحياة، ومن جهةٍ أخرى الوظيفة (المهنة) لها علاقةٌ بالثروة، فمن المهن ما يتقاضى عليها صاحبها مرتباتٍ مرتفعة أو منخفضة حسبَ مكانة الوظيفة (المهنة)؛ أي الثروة تُحدد من طبيعة المهنة من كونها وظيفةً عُليا أو وظيفة دُنيا، كما أن العلم يؤدي للحصول على الوظائف, والقرب من السلطة, وهذا يؤدّي إلى المال، وقد يكون للعلم من بعض النواحي علاقةٌ بالثروة، فمثلًا لا يستطيع المتعلِّم أن يحصل على علمٍ إلّا بعد أن يتوفر له مالٌ لشراء الكتب والانتقال والارتحال لطلب العلم، ومن ثمَّ يصل للوظائف العليا والتقرب من السلطة[١٠٥].

رابعاً: الحراكُ الاجتماعي:

الحراكُ هو مصطلح يعبِّر عن ذلك التغير في الوضعية الطبقية داخل المجتمعات، فالحراك يمثل الانتقالَ من طبقةٍ لأخرى، نتيجة اكتسابِ بعض المؤهلات التي تمكن الشخصَ من الانتقال من طبقته- التي ينتمي إليها أصلًا ونسبًا- إلى طبقةٍ أعلى نتيجة لجاهٍ اكتسبه أو مكانةٍ حاذَها، وتتغير وضعيته الطبقية نتيجةً لفقده بعض المؤهلات التي اكتسبها، وبذلك ينتقل لطبقةٍ أقلّ من حيث المكانة

الاجتماعية[١٠٦] وبذلك يكون الحراكُ هو تغييرَ وضعية الشخص الاجتماعية صعودًا وهبوطًا وفقَ مُعطيات يحوزها أو مكتسبات يفقدها[١٠٧].

وامتازت طبقةُ الخاصة بالحركية الاجتماعية, فالشخص الذي يكسب أحدَ المعايير سالفة الذكر تتحرك مكانتُه الاجتماعية إلى أعلى, ويرتفعُ لمصافِّ الخاصة، وعلى العكس إذا فقد الشخصُ هذه المعاييرَ بالكلية أو المعيار الذي رفعَه إلى الخاصة؛ فيخسر مكانتَه الاجتماعية المرموقة [١٠٨].

ومِن العوامل التي تساعد في حدوث الحراك الاجتماعي صعودًا؛ هو تحصيلُ العلم، وكذلك بعضُ الظّروف السياسية التي مرَّت بها الدولةُ المرينية جعلت سلاطينَها في حاجةٍ لتقريب بعض القبائل البربرية والعربية، فقد كانت الدولةُ في حاجة لمشاركتهم في حروبها، وذلك ساعدَ شيوخهم وزعماءهم على الارتقاء اجتماعيًّا لأنَّهم أصبحوا محطَّ اهتمام السلاطين، وهذا تبعة رفعة ومنعة[١٠٩]. وكذلك التقربُ من السلطة, وتولّي الوظائف يُحدِث حراكًا اجتماعيًّا بالصعود، وذلك ما حدث مع ابن خلدون فتولّيه منصب كاتب العلامة نقلَه إلى مصافِّ الخاصة وقرَّبه من السلاطين، وأتاحَ له الفرصة أن يكون له أثرٌ في مُجريات الأحداث[١١٠]، يُضاف إلى ذلك إحرازُ الثروة، والتي لا بدَّ لها من جاهٍ يدعمها عن طريق قربِها من السلطة.

وكما أنَّ هناك عوامل ساعدت في إحداثِ حراك اجتماعي للصعود, وُجِدت عواملُ أحدثت تغييرًا في الوضعية الطبقية للهبوط، فدائمًا ما ارتبط ذلك بعلاقة الشخص بالدولة، فإذا انقلب السلاطين على أحدِ رجالتهم نكبوه وصادروا أموالَه, وهذا ما حدثَ مع منديل بن محمد الكناني، فبعد ما حازه من مكانةٍ اجتماعية رفيعة انقلبَ عليه السلطان أبو سعيد المريني وأمرَ بمصادرة أمواله[١١١], كذلك كانت المخالفاتُ المالية كفيلةً بإسقاط جاهِهم ومكانتهم الاجتماعية، ومن ذلك ما فعله السلطان أبو الحسن من مصادرةِ الأملاك التي اشتراها الخطيب أبو الفضل محمد المزدغي من أموال الأحباس التي كان يُشرف عليها، بعد أن ثبتَ تورُّطه في إنفاق هذه الأموال بطريق غير سليم[١١٢].

كذلك الصراع على السلطة بين أبناء البيت المريني، كان دائمًا ما يخرج منه بعض الخاصة خاسرينَ لمكانتهم، بسبب الانضمام لفريقٍ دون الآخر. وذلك ما وقع فيه عامر بن محمد الهنتاتي الذي كان وجيهًا ذال مال، ولكنَّه انضمَّ إلى أحد أبناء البيت المريني، فكان ذلك سببًا في ضياع مكانته وقتله[١١٣].

وكانت المكانةُ الاجتماعية تتغير صعودًا وهبوطًا بتغير السلاطين, وتغيُّر أهوائهم ومصالحهم، وذلك ما حدث مع ابن الخطيب فبعدَ أن تمتع بالجاه والثراء وخصِّصت له الإقطاعات, وعاشَ حياة مُترفة في عهد العديد من سلاطين بني مرين[١١٤] إلّا أنّه عندما تولّى السلطان أبو العباس أحمد

(٧٧٦-٧٨٦هـ/ ١٣٧٤-١٣٨٤م) انقلبَ عليه وصادر أموالَه وضِياعَه, وقتله وحرقَه, وذلك إرضاءً لعدوِّه السلطان الغني بالله ابن الأحمر, صاحب الفضل في تولّيه هذا السلطان ملك المغرب الأقصى[١١٥].

وعلى ذلك فقد لعبتِ الظروف السياسية والاقتصادية دورًا مؤثرًا في حدوث الحراك الاجتماعي داخلَ المجتمع المريني، ولكنَّ اللافتَ للنظر أنَّ الوضعية الطبقية في تلك الفترة اتسمت بالميوعة وعدمِ الثبات؛ لأنَّه من الممكن أن يفقدَ الشخص المقوماتِ التي تؤهله للانتماء لطبقة الخاصة.

كذلك تداخلت معاييرُ التفاوت الطبقي، فكان من المُمكن أن يجمع الشخصُ بين هذه المعايير، فقد جمعت بعضُ الأسر بين جاهِ الثروة والعلم والقربِ من السلطة والنَّسب الشريف، وهذا ما عبَّر عنه أحدُ المؤرخين بقوله "وبيت المجد والتعظيم يكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة, ونحو ذلك"[١١٦].

خَاتِمَةُ

وما يمكن قوله في الأخير؛ هو أن المجتمع المريني مجتمع طبقي وأنه على درجة من التفاوت بين طبقاته. وأن هناك مسميات لطبقات الخاصة في المصادر وصفتهم بمختلف عبارات المدح، وأن هناك معايير للانتماء لطبقة الخاصة، كما امتازت هذه الطبقة بالحراكية الاجتماعية فالشخص الذي يكسب أحد هذه المعايير- سالفة الذكر- تتحرك مكانته الاجتماعية إلى أعلى ويرتفع لمصاف الخاصة، وعلى العكس إذا فقد الشخص هذه المعايير بالكلية أو المعيار الذي رفعه إلى الخاصة فيخسر مكانته الاجتماعية المرموقة.

قائمة المراجع

(١) نشوان بن سعيد الحميري اليمنى(ت٥٧٣هـ/١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين عبد الله العمري – مطهر بن على الإريانى– يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م، ج٧، ص٤٠٥٧.

(٢)أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج٢، ص١٣٨٨.

(٣) محمد ثابت الفندي: الطبقات الاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ٣٢.

(٤) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ج١، ص٦٥١.

(٥) إبراهيم القادري بوتشيش: مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، د.ت، ص١٣١.

(6)The Oxford English Dictionary. Vol111, Great Britain, Oxford university, Press, 1969, P:90. .

(٧)مولود زايد الطيب: علم الاجتماع السياسي، جامعة السابع من أبريل، ليبيا، الطبعة الأولي ٢٠٠٧م، دار الكتب الوطنية، بنغازي ليبيا، ص ٨٩، مسعود بريكة: النخبة والسلطة في بجاية الحفصية(٧– ٩هـ/ ١٣– ١٥)، الطبعة الأولى، الجزائر، دار ميم للنشر، ٢٠١٤م، ص٣٦، ٣٧، محمد عز العرب منيب: النخبة السياسية والتحول الديمقراطي في البحرين(١٩٩٢م– ٢٠٠٢م، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة القاهرة، ٢٠١٥م، ص٤٠، محمد مبروك: نظرية النخبة السياسية، مجلة البيان (الرياض)، تقرير ١٢/٢٠١٥م، ص٣١، ٣٢.

(٨) مولود زايد الطيب: المرجع السابق، ص٨٩.

(٩) المرجع السابق والصفحة، مسعود بريكة: المرجع السابق، ص٣٦، ٣٧.

(١٠) ابن منظور:(جمال الدين محمد بن مكرم بن على، ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤م، ج١٠، ص٢٠٠٤.

(١١) نجوى كيرة: العامة في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨– ٥٦٧هـ/ ٩٦٨– ١١٧١م)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠٠٠م، ص٣٧.

(١٢) شلبي الجعيدي: العامة في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧– ٦٤٨هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة المنصورة، ١٩٩٥م، ص٦.

(١٣) إدريس كرم: ثقافة العامة في كتابات الخاصة بالمغرب: نموذج الفقهاء في القرنين ١٠و ١١هـ، مجلة أبحاث، العدد ١٥، ١٦، السنة الخامسة، ١٩٨٧م، ص٧٧.

(١٤) الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد السلاوى، ت ١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م،ج٣، ص١١٨.

(١٥) ابن مرزوق (محمد بن أحمد ب محمد التلمسانى ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن، تحقيق ماريا خيوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ١٥٣.

(١٦) ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن أحمد السلمانى ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجى ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، الطبعة الثانية القاهرة، ج٤، ص٣٢٢.

(١٧) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، لبنان١٤٣١هـ/٢٠٠١م،ج٧، ص ٤٦٤.

(١٨) على سبيل المثال، ابن مرزوق: المسند، ص ١٠٣، ١٤٢، ٢٦٢ ،٢٦٥، ٢٦٧، ٣٢٧، ٣٣٨ ،٣٦٢، ابن خلدون: العبر،ج٧، ص٣٢١،٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٤، ٤١٠، ٤١٥،ابن القاضي (أحمد بن محمد المكناسى ت ١٥٢٥ هـ/ ١٦١٦ م) جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، تحقيق السيد محمد الفاطمي، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م، ج٢، ص٤٥١، الناصري: المصدر السابق،ج٣، ص١١٨، إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ١٣١، ١٦٩، عز الدين جاسوس: موقف الرعية من السلطة السياسية في المغرب والأندلس على عهد المرابطين، دار أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م، ص٣٣.

(١٩) ابن خلدون: المصدر السابق ،ج٧، ص٥٤٠.

(٢٠) المصدر السابق والجزء، ص٥٢٢ ،٥٢٩، ٥٣٧.

(٢١) الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص ٨.

(٢٢)ابن خلدون: المصدر السابق والجزء، ص ٥٢٩.

(٢٣) المصدر السابق،ج٧، ص٥٣٠.

(٢٤) الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص١١٨.

(٢٥) ابن خلدون: المصدر السابق والجزء، ص٣٢٩.

(٢٦)ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ٤٣٢.

(٢٧)ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ٤٤٤، الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص١١٨.

(٢٨) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص١١٩، ٣١٠.

(٢٩) ابن القاضي: المصدر السابق ، ج٢، ص٤٥٦، ٤٦١، ٤٧١، ٤٧٤.

(٣٠) ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن الأحمرت٨٠٧هـ/١٤٠٤م): بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص٥٠، ابن القاضي: جذوة الاقتباس ،ج١، ص ٢٢٩.

(٣١) ابن خلدون: المصدر السابق ، ج٧، ص ٣٠٩، ٣١٤، الناصري: المصدر السابق،ج٣، ص ٩٧، ج٤، ص٥٧.

(٣٢) المصدر السابق والجزء، ص٢٩٣.

(٣٣) المصدر نفسه والجزء، ص٢٤١.

(٣٤) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص٢٣.

(٣٥) ابن عذارى:(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، ت٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد بن تاوت، محمد زينبر، عبد القادر زمامة، دار الثقافة، الطبعة الأولي، الدار البيضاء ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٣٥٢، محمد المنونى: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٩.

(٣٦)ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله الفاسى كان حيا عام٧٢٦هـ/١٣٢٦): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة الوراق، الرباط ١٩٧٢م، ص٣٠٧.

(٣٧) ابن غازي (محمد بن أحمد بن محمد العثماني ت٩١٩هـ/١٥١٣م) : الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط١٣٧١هـ/١٩٥٢م، ص ٣٩.

(٣٨) المسند، ص ٢٨٦.

(٣٩) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٣٢٠، الناصري: المصدرالسابق، ج٣، ص ١٠٤، ١٥٧.

(٤٠) ابن خلدون: المصدر السابق والجزء، ص ٤١٧، الناصري: المصدر السابق والجزء، ص ١٦٠، ١٨٥.

(٤١) الناصري: المصدر السابق والجزء، ص ١١٥.

(٤٢)ابن الخطيب: نفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب،١٩٥٨م، ج١، ص٢٧٠، ابن مرزوق: المصدر السابق، ص١٠٣، الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص ١٨٤.

(٤٣) الوزان (الحسن بن محمد الزياتى الفاسى ت٩٦٠هـ/١٥٥٢م) وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ج١، ص٣١٢، ٣١٨.

(٤٤) ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص ص٤٢٠، ابن خلدون: المقدمة، ص٥٣٢، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٦٩، الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٢٩٤، مارمور كاربخال (ألف كتابه فى النصف الثاني من القرن ١٠هـ/١٦م): إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجى ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد توفيق وأحمد بنجلون، مكتبة المعارف، الرباط المغرب ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص١٦٢، ١٨٠، ١٨٢، محمد المنوني: المرجع السابق، ص٥٠، ابراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص١٦٩– ٢١٥.

(٤٥) عز الدين جاسوس: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤٦) إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص١٥٩، ١٦٠.

(٤٧) ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، القسم الثاني، تحقيق أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م، ص٥٢

(٤٨) ابن باجة (أبو بكر محمد بن يحيي بن الصائغ، ت٥٣٢هـ/ ١١٣٨م): تدبير المتوحد، تحقيق معن زيادة، دار الفكر الإسلامي، بيروت، ص٧٦، ٧٧.

(٤٩) عز الدين جاسوس: المرجع السابق، ص ٣٤.

(٥٠) هناك خلاف حول وضع كبار التجار الطبقي، فلو قمنا بتصنيفهم على أساس الثروة والجاه وعلاقة وثيقة بالسلطان، سينتمون لطبقة الخاصة، لكن ثروة دون جاه وعلاقات وثيقة بالسلطان يندرجون ضمن الطبقة الوسطي. ولاء على عارف: مجتمع الخاصة في المغرب في عصر الموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ٢٠١٢م، ص ٤٨.

(٥١) إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص ١٥٩، ١٦٠، عز الدين جاسوس: المرجع السابق، ص ٤٧، ولاء على عارف: المرجع السابق، ص٤٧.

(٥٢)ابن خلدون:المصدر السابق ، ج٧، ص٢٧٨.

(٥٣) الناصري: المصدر السابق، ج٤، ص٥٧.

(٥٤) ابن مرزوق:المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(٥٥)ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ٢٤١.

(٥٦) الناصري: المصدر السابق،ج٣، ١١٥.

(٥٧) أندرية جوسان: طبقات المجتمع، ترجمة السيد محمد بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الطبعة الثانية ٢٠١١م، ص١٦، ١٧.

(٥٨) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الاسلامي (طور الازدهار) سينا للنشر والانتشار العربي، الطبعة الثالثة، لندن –بيروت– القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٣، زهير محمد إبراهيم عوض: مجتمع طبقة الخاصة في العصر العباسي الثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ/ ٨٤٧- ٩٤٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة كفر الشيخ، ٢٠١٧م، ص٦١.

(٥٩)محمد حسن العيدروس: الدولة الاسلامية الرابعة " أسرة آل عباس" دار الكتب الحديث، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٣٣٢، زهير محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص٦١.

(٦٠) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص٢٨.

(٦١) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص٢٢٢. وتجدر الإشارة أن هناك اختلاف حول أصل هؤلاء العلوج. فالبعض يري أنهم كانوا من المرتزقة الذين احترفوا الجندية في الممالك المسيحية شمال الأندلس، بينما يري البعض الأخر أنهم من الأسري الذين تم أسرهم في معارك الأندلس. إبراهيم القادري بوتشيش: المرجع السابق، ص٤٧.

(٦٢) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص ٥٧ ،٥٨، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ص ٤٣٨.

(٦٣) وتعد الدولة المرينية من أبرز الدول التي شاع فيها هذا النوع من تولي المناصب العليا، حيث ضرب جذوره داخل جهازها الإداري. سالم أبو القاسم محمد غومة: حكم العائلات داخل الدولة المرينية خلال الفترة من (٦٥٦- ٨٦٩هـ/ ١٢٥٨-١٤٦٥م) مجلة الجامعة، جامعة الجبل الغربي، ليبيا، السنة الخامسة، العدد العاشر، مارس ٢٠١٦، ص٦١.

(٦٤) سالم أبو القاسم محمد غومة: المرجع السابق، ص٦١- ٦٥.

(٦٥) ابن خلدون:المصدر السابق ، ج٧، ص ٣٥٣،٥٢٣، ابن الأحمر: المصدر السابق، ص ٥٧ ،٥٨، ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٨، الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص٩٩، سالم أبو القاسم محمد غومة: المرجع السابق، ص٦٦-٦٩.

(٦٦) ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٦، ٤٦١، ٤٧١،٤٧٣.

(٦٧)ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص٩٢، ١٤٨، الناصري: المصدر السابق،ا،٣، ٦٦، ٩١، ١٠٣.

(٦٨) ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ج٢، ص٣٢، ٣٥،٢٧١،٢٨٠. محمد محمد أحمد إسماعيل: ثورات العرب والبربر واليهود في المغرب الأقصى والأندلس في عهد دولة بني مرين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولي ٢٠٠٨م، ص٧٦، هامش ٢، ٤.

(٦٩) ابن الأحمر: المصدر السابق، ص٥٤، ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٦، ٤٦١، ٤٧١ ،٤٧٣.

(٧٠) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ٣٨٩، ابن مرزوق:المصدر السابق ، ص٣٦٧، ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٨٥، ٤٥٦، الناصري:المصدر السابق ، ج٣، ص ١٢٧، ١٥٣، ١٥٦، محمد المنوني: المرجع السابق، ص١٨٧، ١٩٧.

(٧١) الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص ٣٣، ٣٩، ٦٠، محمد المنوني: المرجع السابق، ص١٨١.

(٧٢)الكتاني (محمد بن جعفر بن إدريس على الكتانى): سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، حققه محمد حمزة على الكتاني، الرباط، المغرب ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج٣، ص٣٣٩.

(٧٣) ابن الأحمر: مستودع العلامة ومستبدع العلامة، تحقيق محمد التركي التونسي ومحمد بن تاويت الطنجى، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المطبعة المهدية، تطوان ١٩٦٤م، ص١٥، ١٦، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج١، ص١٦٦أحمد بابا (أحمد بابا بن عمر التنبكتى، ت١٠٣٦هـ ١٦٢٧م): نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٨٩م، ص١٤٥ ،١٤٦.

(٧٤) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٧٥) المصدر السابق، ص١٥١، ١٥٢.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٧٧) الوزان: المصدر السابق، ج١، ص٣١٢، الناصري: المصدر السابق،ج٤، ٩٩، ١١٤.

(٧٨) ابن خلدون: المقدمة، ص٤٦٧.

(٧٩) إبراهيم القادري بوتشيش:المرجع السابق ، ص ١٢٨.

(٨٠) ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٦.

(٨١) الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص١٠٣.

(٨٢) المصدر السابق والجزء، ص١٢٧، محمد المنوني: المصدر السابق، ص١٨٧.

(٨٣)المصدر السابق، ج٣، ص٦٥.

(٨٤) ابن مرزوق: المصدر السابق، ص٢٦٠، عبد الفتاح مقلد الغنيمي: موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولي ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج٥، ص ٢٧٦.

(٨٥) المسند، ص٢٦٠.

(٨٦) ابن مرزوق: المصدر نفسه، والصفحة، ابن الحاج النميري (إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم، كان على قيد الحياة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقق محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٩٩٠م، ص ١٣٠، ابن خلدون:المصدر السابق ، ج٧، ص٥٢٠، محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المرينى، دار القلم، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٣٩.

(٨٧) ابن الخطيب:المصدر السابق ، ج٢، ص١٩٥.

(٨٨) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص ٥٣٤، ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٤١١، عبد الله عنان: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولي ١٣٢٥هـ/ ١٩٢٢م، ص٢٤، ٢٥.

(٨٩)ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٥، ٤٣٦.

(٩٠)المصدر السابق، ج٢، ص ٤٣٦.

(٩١) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٥٣٨.

(٩٢) وتجدر الإشارة أن الأمير أبو على كان محبا للعلم مولعا بأهله وكانت الدولة المرينية خالية من الكتاب المتميزين ورأي الأصابع تشير إلى عبد المهيمن الحضرمي في رياسة تلك الصناعة، فقلده كتابته وعلامته. ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص ٣٢٨.

(٩٣)ابن خلدون: المصدر السابق ، ج٧، ص ٣٢٨، ٣٢٩، ٥٢٢، ٥٢٣.

(٩٤) ابن القاضي: جذوة الاقتباس، ج٢، ٤٣٨.

(٩٥) ولاء على عارف: المرجع السابق، ص٥١.

(٩٦) الملزوزي (أبو فارس عبد العزيز، ت٦٩٧هـ/١٢٩٧): نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الطبعة الملكية، الرباط ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ص٩٠ ،١٣٠ .

(٩٧) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٩٥، الوزان: وصف أفريقيا، ج١، ص٣٠١، الناصري: المصدر السابق،ج ٣، ص١٠٣، زهران مهدي على: تاريخ المغرب الأقصى وحضارته في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني (٦٥٦- ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨- ١٢٨٦م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠١٧م، ص٨٣.

(٩٨) الناصري: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٧.

(٩٩) ابن القاضي: المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٦.

(١٠٠) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٧.

(١٠١) العبر، ج٧، ص ٤١٧.

(١٠٢)المقدمة، ص ١٦٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٧٤.

(١٠٣) إبراهيم القادري بوتشيش: الحب في العلاقات الزوجية بالعائلة المغربية خلال العصر الوسيط، مساهمة في دراسة تاريخ المشاعر الإنسانية (ق٥-٦هـ/ ١١-١٢م)، مجلة عصور الجديدة العدد ٥، ربيع ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص٣٠.

(١٠٤)أندرية جوسان: المرجع السابق، ص٢٢، ٢٣، ٢٥.

(١٠٥)زهير محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ٧١.

(١٠٦)غريب سيد أحمد: الطبقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص٩٣، ولاء طه عارف: المرجع السابق، ص٥٤.

(١٠٧) ولاء طه عارف: المرجع السابق، ص٥٤.

(١٠٨) زهير محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص ٧٤.

(١٠٩) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص٣٣٧.

(١١٠) ابن خلدون: المصدر السابق، ج٧، ص ٥٢٥، ٥٣٤، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ابن القاضي:المصدر السابق، ج٢، ص٤١١، الناصري: المصدر السابق، ج٤، ص٨، ٣٩، عبد الله عنان: المرجع السابق، ص٢٤، ٢٥.

(١١١) محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص٢٨٣.

(١١٢)ابن مرزوق: المصدر السابق،ص٢٣٠-٢٣٣، محمد عيسى الحريري: المرجع السابق، ص٢٨٣.

(١١٣) الناصري: المصدجر السابق،ج٤، ص٥٠، ٥٣، ٥٤، ٥٥ ،٥٦، الحريري: المرجع السابق، ص ١٦٤، ١٦٨.

(١١٤)ابن الخطيب: رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، ١٢١٦هـ، ص ١٠٤، المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمسانى ت١٠٤٠هـ/١٦٣١م): أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م، ج١، ص٢٠٨، ٢١١، ٢١٢.

(١١٥) المقري: المصدر السابق، ج١، ص ٢٢٥- ٢٣١.

(١١٦) الكتاني (عبد الكبير بن هاشم الكتاني، ت١٣٥٠هـ/١٩٣١م): زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، تحقيق على بن منصور الكتاني، دار النجاح ، الدار البيضاء، ٢٠٠٢، ج١، ص٤٥.